رفائيـــل

RAFFAELLO SANTI

الفنان أبداً

للدكتور أحمد موسى

— ٣ —

وله صورة أخرى للمادونا مؤرخة سنة ١٥٠٦ وهى مسماة « مادونا دبجلى أنسيدى » محفوظة بجاليرى لندن ، وغير ذلك صورة للعائلة المقدسة محفوظة ببينا كوتيك ميونيخ وهى صورة منظمة تنظيما سيمتريكيا جميلا ، غير أن روعة تصويره لعلاقة الأم والابن لم تكن على درجة من الجودة ، كتلك التى عهدناها فى صوره الأخرى . وغير ذلك من صور المادونا ما هو محفوظ ببرلين وميونيخ ، وبانجلترا لدى اللورد كومبر وبمنزل برديج واتر بلندن ، كما أن له صورة مشهورة بإنشائها المجيد وهى المادونا « الدياديم » وقد توسطت الصورة ، وعن يمينها يسوع الطفل قد أخذه النوم بينما هى ترفع عن وجهه القناع بيمناها لتمكن يوحنا الطفل من مشاهدة يسوع ، وقد ركع يوحنا أمامه وكمال الخشوع يرى على وجهه وجمال النقاوة يغمر محياه وهى تسنده بيسارها .

والمادونا إلبا بمتحف بطرسبرج ومادونا الدوبراندينى بلندن سجلان تطور رفائيل واتجاهه اتجاهاً لا يعد جديداً من الناحية الفنية ؛ ولكنه يعد عظيما من الوجهة الدراسية .

هذا ولا ننس أن نذكر أن من بين صور المادونا ما أثار إعجاب مؤرخى الفن بالاجماع ، من ذلك مادونا دى فوليجنو (١٥١١) بجاليرى الفاتيكان ، ومادونا ديلبيسكا (بمتحف برادو فى مدريد) ومادونا ديلتندا بميونيخ ومادونا كولديشينو أمورا بناپولى ومادونا ديلليمپاناتا بقصر پيتى بفلورنس .

ولقد وضع تصميم صور للعائلة المقدسة وترك إكمالها لتلامذته وأشهر هذه الصور بمتحف برادو بمدريد (؟) وهي السماة لا بيرله La Berla وفيها ظهر أبدع تعبير للأمومة فى أسمى معانيها والحب فى أبلغ مظاهره .

أما للفن الخالص فله أروع صورة للمادونا وهى المسماة « مادونا دى سان سيستو » Madonna di San Sisto أوالمادونا السكستينية . وعلى هذه اللوحة الرائعة التى بلغ طولها ٢/٦٥ متر وعرضها ١/٩٦ متر والتى يغلب الظن أنه صورها سنة ١٥١٥ ، يتجلى أعظم ما وصل إليه رفائيل من الإنتاج الفنى الخالد الذى سجله له التاريخ بمداد من نور ؛ فترى العذراء (ش ١) قد اعتلت الغيوم كملكة للسماء حاملة يسوع الطفل بين ذراعيها وقد تأبطته يمناها ، وبكل حنان أسندت ساقيه بيسراها ، أما الوجه فهو أنبل ما استطاع فنان إخراجه . وفى الجهة اليسرى للصورة القديس سكستس الثانى وهو ينظر إلى يسوع نظرة التقديس الملوءة بكل ما أوتى رفائيل من قوة العبادة التي ملأت قلبه ، وفى الجهة اليمنى منها القديسة بربارة . وعند قدمى العذراء ترى ملاكين يفيضان ببراءة الطفولة ووداعتها اللتين تمتلكان جميع الحواس لكثرة ما فيهما من الصفاء والنقاء .

وقد عملت هذه الصورة خصيصاً لكنيسة دير پيارسوا ، واشتراها القصر السكسونى سنة ١٧٥٣ بحوالى عشرة آلاف جنيه انجليزى فى وقت كانت قيمة الجنيه فيه تعادل عشرة جنيهات فى الوقت الحاضر .

وتنفرد جاليرى درسدن وحدها بامتلاك أعظم قطعة لرفائيل ولذلك تسميها « درة الجاليرى » بعد حصولها عليها من القصر السكسونى .

١ — مادونا سكنس — جاليرى درسدن

وبهذا تكون معظم صوره للمادونا قد انتهت، وله غير ذلك صورة تمثل زواج ماريا بيوسف (ش ٢) سنة ١٥٠٤ وأسماها سپوساليتزيو Sposalizio محفوظة بميلانو وصورة القديس جورج يقتل التنين (باللوفر) وهى مصورة سنة ١٥٠٦

والقطعة التى يتجلى فيها حبه وهيامه بالموسيقى، وقد أظهرت أستاذيته فى الفن وعظمته فى الانشاء التكوينى فضلا عن التوفيق الكامل فى اختيار الألوان ومزجها وإيجاد الانسجام المثلي بينها. هذه هى صورة القديسة سيسيليا (ش ٣) وحولها ثلاثة تلاميذ (بولس ومجدلين ويوحنا) والقديس جيمينيانوس صورها سنة ١٥١٣ تلبية لطلب الكردينال لورنسو بوتشى لأجل سان چيوڤانى فى مونتابولونا (محفوظة بپينا كوتيك بولونا) وقد اهتم بتصوير تفاصيلها اهتماما خاصاً حتى أنك لترى أنه على صغر مساحتها نسبياً إلى ما شملته في دقة رائعة وبراعة فائقة. فالملائكة فى السماء وآلات الموسيقى على الأرض وتفاصيل الملابس والوجوه وما ارتسم على كل منها يبين لنا إلى حد بعيد مدى المقدرة العظيمة التي أظهرها فى هذه القطعة.

وله صورة هامة صورها لكنيسة ماريا ديللوسپا سيمو Lo Spasims di Licilia فى سنة ١٥١٧ والتى حازها فيليب الرابع ملك أسبانيا من نفس السنة تبين «حمل الصليب» وهى محفوظة بمتحف پرادو بمدريد (؟) وتشمل ستة عشر وجها كبيرا بين نساء ورجال عدا رؤوس الخيول وبعض الناس فى مؤخر الصورة وهي رائعة الإنشاء التكوينى والموضوعى، ترى فيها الوجوه التى طغى عليها اليأس والقنوط إلى وجوه قد انعكس عليها ما فى قلوب أصحابها من حقد كمين على المسيح. وهناك فى پرادو صورة أخرى لماريا «البحث عن المأوى» وغير ذلك صورة العائلة المقدسة تحت شجرة البلوط. وله فى سنة ١٥١٨ صورة رسمها للملك فرانس يوسف الأول ملك فرنسا وأسماها «القديس ميخائيل يحارب الشيطان بالسفود» باللوفر. وهناك بعض صور أخرى عملها فى بدء حياته الفنية، كما أن هناك عدد غير يسير من اللوحات صورها بعد الذي ذكر، وكلها يضيق المقام عن

٢ — تزويج ماريا (سپوزاليتسيو) — ميلانو

كره ، وبذلك ينتهي إنتاج هذا الفنان الخالد من الناحية
ينية وصورغير هذا كله صوراً شخصية لنفسه ولغيره ،
ن أهم ما يجب ذكره هنـا ما صوره أثناء إقامته
ورنسا ، وهو صورته لصديقه انجيولو دوني وزوجته
لينه ستروزي دوني (١٥٠٥ بفلورنسا) وصورته
سه بفلورنسا أيضاً . أما صوره أثناء إقامته في روما
نها صورة البابا يوليوس الثاني جالساً على كرسي ذي
ند مرتفع محفوظة بفلورنسا ومنها نسخة جيدة منقولة
ا ومحفوظة بلندن) وصورة الكردينال توماس انجراي
حفوظة بفلورنسا) والصورة النصفية لشاب هو يبدو
ثيتي وقد كان يظن أنها صورته الشخصية إلى وقت ليس
بد (محفوظة بميونيخ) وصورتاه دونًا بيلاتا ودونًا جراثيدا
بلورنس) . وصورته المزدوجة لشخصين هما بيازانو وناقاجيرو
روما)

٣ — القديسة سيسيليا — بولونيا

٤ — زفاف آمود وبسيشه — فيلا فارنيزينا

وبعدئذ وأخيراً صورته المجموعية للبابا ليو العاشر مع الكردينال جيليودي موتيشي ودي روسي (قصر بيتي بفلورنسا)

ولقد حاول العمل أيضا كمعماري ووصل إلى حد لا بأس به وأنتج انتاجا جديراً بالذكر هنا ، حيث وضع تصميما لكنيسة بطرس روما ، وقد كلف بعض المختصين بعمل أنموذج مصغر منه أثار إعجاب معاصريه .

هذا مجمل قصة رفائيل سيانتي الذي مات في سن السابعة والثلاثين ، ونحن إن ذكرنا هنا إنتاجه القيم دون تعمق في نقد مصوراته ولوحاته فان هذا راجع لسببين أولهما ضيق المجال وثانيهما أننا لانرغب في أن تكون دراساتنا جامعية ، بل نكتفي بأن نذهب بذوق القاريء إلى السمو ونضع نصب عينيه أن الفن في مصر ضعيف وأن الذين يقومون بالهيمنة عليه ليسوا ممن تخصصوا في الفن علمياً وأن واجب الحكومة وواجب الشعب هو الالتفات إلى ما في هذا الاتجاه الخاطيء من خطورة على تهذيب النشء والسمو بذوقهم ونحن نعتبرهم رجالا للمستقبل .

وإنه لما يثير عندنا الدهشة والاستغراب أن وزارة المعارف في الوقت الذي لا تبيح فيه اشتغال تمورجي بالطب ولا تسمح لكاتب محام بالاشتغال بمهنة المحاماة تسمح بملء إرادتها أن يهيمن على الفن وعلى دراسته العلمية والثقافية غير من تخصص في دراسته التاريخية والفلسفية .

احمد موسى